التنويم المغناطيسى

وقراءة الأفكار فى القديم

لأستاذ جليل

هذ التنويم المغناطيسى قديم ، وقد عرفته الحضارة العربية يوم كانت ، وقيدته بالكتاب ، وأثبته بعضهم فى مجلة المجائب وجريدة ماوراء الطبيعة ، وحاول العلماء تعليله وتفسيره فعجزت ذرائع علمهم فى ذلك الوقت عما حاولوا . وهل اهتدى اليه علم الغربيين إلا منذ حين ؟

وأول من ذكر التنويم المغناطيسى فى العربية — وان لم يسمه باسمه — هو (أوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن على بن ملكا البلدي[1]) فى كتابه (المعتبر) منذ أكثر من (٨٠٠) سنة

قال الوزير جمال الدين يوسف القفطى فى كتابه (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) : « هبة الله بن ملكا[2] أوحد الزمان طبيب فاضل عالم بعلوم الأوائل ، وقريب العهد بمن زماننا . كان فى وسط المئة السادسة ، وكان موفق المعالجة لطيف الإشارة . وقف على كتب المتقدمين والمتأخرين فى هذا الشان واعتبرها واختبرها ، فلما صفت لديه وانتهى أمرها إليه صنف فيها كتاباً سماه (المعتبر) أخلاه من النوع الرياضى وأتى فيه بالمنطق والطبيعى والإلهي فجاءت عبارته فصيحة ، ومقاصده فى تلك الطريق صحيحة . وهو أحسن كتاب صنف فى هذا الشان »

وقال ابن اصيبعة فى (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) : « أبو البركات هبة الله بن على بن ملكا كان فى خدمة المستنجد بالله (العباسى) وكان له اهتمام بالغ بالعلوم وفطرة فائقة فيها ، وله من الكتب كتاب (المعتبر) وهو من أجلّ كتبه وأشهرها فى الحكمة »

وهذه قصة ذلك التنويم كما حدّث أبو البركات :

« والمرأة العمياء التى رأيناها ببغداد ، وتكررت مشاهدتنا لها منذ مدة مديدة قدرُها ما يقارب ثلاثين سنة ، وهى على ذلك إلى الآن تُعرض عليها الخبايا فتدل عليها بأنواعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها دقيقها وجليلها ؛ تجيب على أثر السؤال من غير توقف ولا استعانة بشىء من الأشياء ، إلا انها كانت تلتمس أن يرى أبوها (المرء) الذى يسأل أو يسمعه ، فيتصور الدهماء أن الذى تقوله باشارة من أبيها ، وكان الذى تقوله يبلغ من الكثرة إلى ما يزيد على عشرين كلمة ، وإنما كان أبوها يقول إذا رأى ما يراه من أشياء كثيرة مختلفة الأشكال والأنواع في مرة واحدة كلمة واحدة ، وأقصاه كلمتان ، وهى التى يكررها في كل قول ، ومع كل من يسمع ويرى : (سلْها ، وسلها تخبرك ، أو قولى له ، أو قولى يا صغيرة) وقد عاندته يوماً وحاققته فى ألاّ يتكلم ألبتة ، وأريته عدة أشياء ، فقال لفظة واحدة ، فقلت له : الشرط أملك . فاغتاظ ، قال : ومثلك يظن أنى أشرت إلى هذا كله بهذه اللفظة . واسمع الآن ، ثم التفت إليها وأخذ يشير بأصبعه إلى شىء وهو يقول تلك الكلمة ، وهى تقول : هذا كذا ، وهذا كذا ، على الاتصال من غير توقف ، وهو يقول تلك الكلمة لازيادة عليها ، وهى لفظة واحدة بلحن واحد ، وهيئة واحدة حتى ضجرنا ، واشتد تعجبنا ورأينا أن هذه الإشارة لو كانت تتضمن هذه الأشياء لكانت أعجب من كل ما تقوله العمياء . ومن عجيب ما شاهدنا من أمرها أن أباها كان يغلط فى شىء يعتقده على خلاف ما هو به ، فتخبر هى عنه على معتقداتها كأن نفسها هى نفسه . ورأيناها تقول ما لا يعلمه أبوها من خبيئة فى الخبيئة التى اطلع عليها أبوها . وهذا أعجب وأعجب ، وحكاياتها أكثر من أن تعد . وما زلت أقول إن من يأتى بعدنا لا يصدق ما رأيناه منها »

وقد أورد ابن أبى الحديد خبر (العمياء) هذه فى بحثه عن المغيبات فى شرح (النهج) وقال قبل روايته : « وقد يقع الاخبار عن الغيوب بواسطة اعلام إنسان آخر ذلك الغيب ، لنفسه بنفس المخبر اتحادا وكالاتحاد ، وذلك كما يحكى أبو البركات بن ملكا الطبيب فى كتاب المعتبر » :

وعدّ الرازى تلك العمياء (كاهنة) فقال فى تفسيره (مفاتيح

---

(١) نسبة إلى (بلد) وهى من مدن العراق

(٢) هنا وفى شرح النهج ابن ملكا وفى عيون الأنباء والوفيات ابن على ابن ملكا . وفى الوفيات ملكان

الغيب) : « الكاهنة البغدادية التي نقلها السلطان سنجر بن ملك شاه من بغداد إلى خراسان وسألها عن الأحوال الآتية في المستقبل ذكرت أشياء ثم أنها وقعت على وَفق كلامها .

وأنا قد رأيت أناساً محققين في علوم الكلام والحكمة حكوا عنها أنها أخبرت عن الأشياء الغائبة أخباراً على سبيل التفصيل وجاءت تلك الوقائع على وفق خبرها . وبالغ أبو البركات في كتاب (المعتبر) في شرح حالها ، وقال لقد تفحصت عن حالها مدة ثلاثين سنة حتى تيقنت أنها كانت تخبر عن المغيبات إخباراً مطابقاً »

وليست (العمياء) بكاهنة[1] ، وليس الذي تقوله من أنباء الغيب ، وما ذلك إلا (التنويم المغناطيسي) الذي عرفناه في هذا الزمان ، وهو اليوم حرفة محترفين ، ومصيدة متصيدين . .

* * *

روى المقريزي في (عقوده) هذا الخبر ونقله السخاوي في (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) :

« كان أحمد بن عبد الخالق البدر القاهري إذا كتب له البيت من الشعر أو نحوه في ورقة لم يرها ودفعت إليه ، ويده من تحت ذيله قرأها ، ويده وثوبه يحولان بين بصره وبين رؤيتها ، إلا أنه كان يمر بيده على المكتوب خاصة فيقرأ ما كتب في الورقة ، امتحناه بذلك غير مرة ، وشاهدت غيره يفعل مثله أيضاً »

والذي رواه المقريزي إنما هو من (قراءة الأفكار) وهو من ضروب المسمى عند الفرنج (Télépathie) وقد رأينا المنومين يفعلونه كثيراً

وذكر القفطي في كتابه (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) رجلا اسمه (مخرج الضمير) فقال : « هذا رجل اشتهر بهذا الاسم ، وكان يدعي العجز في إخراج الضمير ، فانطلق عليه ذلك » ثم روى قصة من قصصه ، و (إخراج الضمير) مثل : (قراءة الفكر) أو هو هي ، والحكايات الصحيحة لبعض المتصوفة في المخاطبة أو المراسلة النفسية (الكهربية) هي من هذا الباب

* * *

كنت قد أقرأت حديث ذلك التنويم القديم المنومين : الدكتور سلمون والدكتور داهشا) فقالا : هذا هو التنويم المغناطيسي بنفسه ، وسلّم سلمون ودُهش داهش[1] ! وسلمون هذا شاب من دمشق ، وداهش فتى من بيت المقدس ، وهذه الدكتورية وهذه التسمية أو التعمية هي أفنون من أفانين هذا التنويم ... وما أقول ذلك لأعمًا أو عائباً ، إني أعلم أن عملهما يقول لهما يا منومان ، يالا عبان ، العبا كما تهويان ، وتسميا وتلقبا بما تريان ...

وكلّ في هذه الدنيا إما منوِّمٌ مسهور وإما منوَّمٌ مسهوّى . وما الأول — يا أخا العرب — إلا مثل الثاني ؛ فالمسهور مسهوّى ، والقاهر مقهور ، والمستعبِد عبد ، والحر غير طليق ، وذو الارادة فاقدها ، والكون في موج القدر

وبصير الأقوام مثلي ، أعمى فهلمو في حندس نتصادم[2]

بل ليس الناس كلهم أجمعون غادين ورائحين وعاملين ومتناحرين على الرغيف — إلا نائمين منوَّمين ، إلا في شبه الحالة المسماة عند الفرنج (Somnambolisme وما الانسان إلا النائم السائر[3] Somnambule) « وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود »

مفتحةٌ عيونهُم نيامُ[4]

وما يشعرون وما يستيقظون إلا وقت الموت . و« الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا[5] »

(يه)

---

(١) الكاهن هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ، ويدعي معرفة الأسرار ، ومطالعة علم الغيب (التعريفات) والكهانة مخرفة والكاهن مشعبذ ، ولابن خلدون بحث عن الكهانة خذله فيه التحقيق

(١) داهش في اللغة خطأ ، دهش الرجل فهو دهش (بفتح الأول وكسر الثاني) ودهش كعنى فهو مندهوش ، وأدهشه فهو مدهش والمفعول مدهش (بضم الأول وفتح ما قبل الآخر) واندهش ومندهش من جماعة داهش

(٢) صاحب الازوميات (الحندس) الليل الشديد الظلمة ، والحنادس : ثلاث ليال في الشهر لظلمتهن

(٣) النائم السائر هو الذي يمشي ويعمل ويتكلم وهو نائم ، قال معجم لاروس: Somnambule qui marche, agit, parle tout en demeurant dans l'état de sommeil

(٤) المتنبي ، وصدره (أرانب غير أنهم ملوك) وهو من قصيدة فيها هذا البيت وهو تاريخ موجز للحياة :

إذا كان الشباب الكر والشيب (م) ما فالحياة هي الحمام

(٥) حديث ، وفي (المحاسن والمساوى) ابن المعتز : أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام